الزاوية التجانية باب الخضراء – تونس

الإمام الخطيب الحاج الحبيب بن حامد

الرضا والتسليم بمقادير الله

﴿ الخطبة الأولى ﴾

يوم الجمعة 15 جمادى الأولى 1436 هـ / الموافق 6 مارس 2015 م

الحمد لله،

الحمد لله الذي أهدى إلينا نبيّه الكريم وهدانا به وبنور كلامه القديم ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة نجدها يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرا ونشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبد الله ورسوله الأمين صلّى الله عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار.

عباد الله،

نتحدّث في خطبتنا اليوم على موضوع الرّضاء بقدر الله تعالى وهو من أكثر الأسباب التي تمنح المسلم الرّاحة والسّكينة وتخفّف عنه أعباء الضغوطات اليوميّة التي يتعرّض لها في هذه الحياة وذلك بأن لا يكون في قلب المسلم شيء من الاعتراض والجزع على ما قضاه الله تعالى وقدّره عليه وأن لا ييأس على ما فاته ولا يفرح بما هو آت إلاّ بالله تعالى ويوقن أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه، قال تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[[1]](#footnote-1).

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ من قبل أن نخلُقها، يُقال قد برأ الله هذا الشيء بمعنى خلقه فهو بارئه.

﴿ تَأْسَوْا ﴾ تحزنوا

﴿ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا ﴾ فرحُ بطْرٍ (أي ظلم وتكبّر) بل فرحُ شكر على النّعمة

﴿ بِمَا آتَاكُمْ ﴾ بالمدّ أعطاكم وبالقصر جاءكم منه

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ متكبّر بما أوتي من النّعم

﴿ فَخُورٍ ﴾ به على الناس (تفسير الجلالين)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ »[[2]](#footnote-2) أي في الأزل في علم الله القديم.

وقال تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[[3]](#footnote-3). عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ « كُنَّا نَعْرِضُ الْمَصَاحِفَ عِنْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ فَمَرَّتْ بِهَذِهِ الْآيَةَ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قَالَ : فَسَأَلْنَاهُ عَنْهَا فَقَالَ : هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ »[[4]](#footnote-4).

عن محمود بن لبيد رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال « إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع » وفي رواية « ومن سخط فله السخط »[[5]](#footnote-5).

الجزع : الخوف أو الحزن الشديد وهو عدم الصبر على المكروه ونحوه.

قال تعالى ﴿ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ \* الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[[6]](#footnote-6).

﴿ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته،

قال سفيان الثوري في قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ قال المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له. (تفسير ابن كثير).

والرّضا والتسليم لا يكون إلاّ في أوقات الشدّة بل في أوقات الرّخاء أيضا، فَرَضاً الشدّة بالصّبر والتسليم ورضا الرّخاء بالشّكر وأداء حقّ الله تعالى فيما أنعم به على عبده بالشّكر والذّكر والزّكاة والصّدقات، فنرى اليوم مثلا الكثير ممّن أنعم الله تعالى عليهم بالمال ولا يؤتون الزّكاة ولا يصلّون ودائما في ضيق وشغلهم إلاّ طلب الرّزق، والفلاّح لا يزكّي على فلاحته ويقول المحصول قليل هذه السّنة والأمطار قليلة، وأحيانا يجزع عندما يبتليه الله بالحجر والأمطار في الصّيف ويتضرّر المحصول يسخط ولا يرضى بأمر الله وعندما يَمُنّ الله عليه بالخيرات ويصل المحصول سالما لا يؤتي لا زكاتها ولا يتصدّق وكأنّ ذلك الخير ملكه هو، بل هو في الأصل خير الله استأمنه عليه حتّى يؤدّي عليه حقوقه، عن [أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ](http://library.islamweb.net/hadith/RawyDetails.php?RawyID=720) رضي الله عنه يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَيْلٌ لِلأَغْنِيَاءِ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا، ظَلَمُونَا حُقُوقَنَا الَّتِي فَرَضْتَ لَنَا عَلَيْهِمْ، فَيَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأُدْنِيَنَّكُمْ وَلأُبَاعِدَنَّهُمْ، لأُبْعِدَنَّهُمْ، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[[7]](#footnote-7) »[[8]](#footnote-8).

الويل : الحزن والهلاك والعذاب، وقيل وادٍ في جهنّم.

الدّنوّ : الاقتراب.

ويقول ذو النون المصري : ثلاثة من أعمال التسليم، مقابلة القضاء بالرّضا، والصّبر عند البلاء، والشّكر عند الرّخاء.

اللهمّ اغفر لنا وارحمنا واجعلنا لأنعمك شاكرين وبقضائك راضين مستسلمين.

آمين آمين آمين يا ربّ العالمين.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين

1. سورة الحديد الآية 22 - 23 [↑](#footnote-ref-1)
2. الإمام أحمد في مسنده [↑](#footnote-ref-2)
3. سورة التغابن الآية 11 [↑](#footnote-ref-3)
4. البيهقي في شعب الإيمان [↑](#footnote-ref-4)
5. السيوطي في الجامع الكبير [↑](#footnote-ref-5)
6. سورة الحج الآية 34 - 35 [↑](#footnote-ref-6)
7. سورة المعارج الآية 24 - 25 [↑](#footnote-ref-7)
8. حديث قدسي أخرجه الطبراني في المعجم الصغير [↑](#footnote-ref-8)